وديع عواودة(*)

سلطات إسرائيلية تموّل بناءه

الهيكل الثالث.. فكرة على عتبة التنفيذ

ظلت فكرة بناء الهيكل الثالث على حساب المسجدين الأقصى وقبة الصخرة في الحرم القدسي الشريف طيلة عقود فكرة مسيائية تراود مجموعة صهاينة مهووسين. لكنها شهدت وما تزال تحولا دراميا خطيرا بدأ منذ نحو عقدين نتيجة اتساع مريديها ودعم المساعي لإخراجها لحيز التنفيذ من قبل جهات يهودية محلية وعالمية ومؤسسات إسرائيلية رسمية. ويشي ذلك بتحّول الإسرائيليين لمجتمع متطرف دينيا وقوميا، خاصة منذ توقيع اتفاقية أوسلو واتساع الحديث حول تسوية «الدولتين» وحول «التنازل عن يهودا والسامرة»، مرتكز المزاعم التاريخية الصهيونية في فلسطين.

تتضح معالم هذا التحول المتفاقم إذا ما أخذنا بالحسبان أن أوساطا مهمة من المؤسسة الحاخاماتية والمدارس الدينية في إسرائيل باتت تتعامل مع الفكرة وتؤيدها بشكل جارف أو مشروط وجزئي، بعدما كانت تعتبر ذلك أمرا محرما وفق الشريعة اليهودية. ويتجلى خروج الفكرة من مرحلة التخيلات والأحلام لمرحلة البدء بإجراءات عملية عبر نشاط ٢٧ جمعية تعنى بالهيكل الثالث، بازدياد عمليات اقتحام الجماعات الدينية للحرم القدسي والقيام بممارسة شعائر دينية تبلغ حدّ التبرك بالمكان. ولم تعد هذه الممارسات تقتصر على جماعات هامشية متطرفة فحسب، بل يشارك فيها عدد من أعضاء الكنيست من أحزاب اليمين، كما فعل عضو الكنيست موشيه فايغلين (حزب «الليكود- يسرائيل بيتنا» الحاكم) عدة مرات هذا العام.

بيد أن المخفي اليوم أعظم وأشد خطورة، كمّا وكيفا، حيث يتضح أن أوساطا دينية وسياسية تعمل بمنهجية وعلانية وبدعم

(*) صحافي فلسطيني- كفر كنا (الجليل)

تؤكد دراسة إسرائيلية أن الجماعات اليهودية الفاعلة من أجل هدم الأقصى وقبة الصخرة وبناء الهيكل الثالث باتت اليوم (٢٠١٣) كثيرة وخطيرة، محذرة من انفجار «برميل بارود» ستطال تبعاته المنطقة والعالم. ولا تخفي بعض هذه المنظمات هدفها وتقول علانية إنها تسعى لهدم الأقصى وقبة الصخرة كما يظهر في موقع «الجبل لنا» («هار هبايت لانو») على الشبكة.

وتؤكد الدراسة الموسعة أن نحو ١٥ ألف يهودي يزورون الحرم القدسي كل عام، وتوضح أن أوساطا دينية متزايدة تعتقد بضرورة بناء الهيكل الثالث المزعوم.

حكومي مادي ومعنوي سخي من أجل تقصير الطريق بين فكرة الهيكل الثالث (الذي يأتي بناؤه بالضرورة على حساب الأقصى) وبين تطبيقها الفعلي.

الأسطورة أولا

بين هذا وذاك، كان موتيف الهيكل المزعوم حاضرا باستمرار في أدبيات الصهيونية التي سعت لدغدغة عواطف اليهود وتنمية حنينهم للبلاد لدواع سياسية في سياق النسج غير المتردد للأساطير.

يؤكد على ذلك الكتاب الجديد[١](متى ولماذا توقفت أن أكون يهوديا؟) للمؤرخ الإسرائيلي شلومو ساند الذي يحمل على الصهيونية ويعري «أكاذيبها وعمليات غسل الدماغ والتزوير، نسج الأساطير واستنساخ التاريخ « التي تواصل التورط بها، موضحا أن الهيكل لم يكن موجودا أصلا لكي يهدم.

ويؤكد ساند كما في كتابيه السابقين المثيرين «متى وكيف اخترع الشعب اليهودي؟ « و «متى وكيف اخترعت أرض إسرائيل»؟

مجسم الهيكل المزعوم.

أن الصهيونية نحتت شعبا متخيلا له عمق تاريخي، وأن «المملكة الصليبية الجديدة« ماضية على المنوال نفسه.[٢+٣] معتبرا تهجير اليهود من قبل الرومان أسطورة رعتها الصهيونية كدليل صلب على «الحقوق التاريخية لليهود في فلسطين– «أرض إسرائيل»، كواحدة من تقنيات مذهلة لصياغة الذاكرة الجماعية تقوم على فكرة أن يهود أوروبا مهجرين من فلسطين وهم من سلالة سيدنا إبراهيم.

ولا يتردد ساند في التأكيد على رؤية مختلفة يتبناها مؤرخون كبار في العالم ومنهم إسرائيليون، أبرزهم أفرهام فولك[٤] (مؤرخ ومحاضر سابق في جامعة تل أبيب) مفادها أن أصل اليهود من مملكة الخزر ومنها انتقلوا لشرق أوروبا.

غير أن الصهيونية نجحت بإقناع اليهود بغالبيتهم الساحقة بمزاعمها وأساطيرها وما زالت هذه معينا تزود أوساطا سياسية ودينية متشددة بالأفكار، ومصدر إلهام مباشر أو غير مباشر لفكرة بناء الهيكل الثالث.

جماعات «أمناء الهيكل»

ويتبين بوضوح أنه منذ زيارة رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق أريئيل شارون للحرم القدسي عام ٢٠٠٠ والتي أشعلت هبة القدس والأقصى، تزايد عدد الجماعات اليهودية الدينية والقومية الساعية لبناء الهيكل تحت إطار جامع يوحدها، «أمناء الهيكل».

ومن أبرز هذه المنظمات الفاعلة اليوم من أجل تنظيم زيارات اليهود للحرم القدسي، والتحضير العملي لمشروع بناء الهيكل: «أنصار الهيكل»، «الحركة لبناء الهيكل»، «معهد الهيكل»، «حاي فكيام»، «نساء من أجل الهيكل»، «حراس الهيكل» وغيرها.

ويشير الباحث يزهار بار المختص بالجماعات اليهودية الدينية أن تكالب الجماعات اليهودية على منطقة الحرم يعود لسبب

يستدل من مراجعة دفاتر ومواقع هذه الجماعات اليهودية أنها تعمل عادة في إطار القانون، فهي مسجلة كافتها لدى مسجل الجمعيات، لكن قسما غير قليل منها يتخطاه ويتجاوز ما تسمح به الديمقراطية وحرية التعبير، ويقوم بالتحريض السافر المفضوح ضد المقدسات الإسلامية وبأفعال تعرض السلم للخطر.

وعلى العكس، فرغم أن مسؤولية إسرائيل كدولة تحتم عليها منع تغيير أنظمة العبادة في الحرم القدسي المحتل، ومنع التحريض والمس بالمقدسات الإسلامية، فهي تغذي فعاليات الهيكل الثالث باضطراد، مع العلم أن ذلك بمثابة «برميل البارود» من المرجح أن تطال تبعات انفجاره اليهود هنا وفي العالم ربما.

خارجي ينبع من الخوف من تسوية سياسية تكرس الوضع الراهن لمنطقة الحرم القدسي التي تدار بيد الوقف الإسلامي.

ونوه يزهار بار ضمن ندوة نظمتها «الضفة اليسارية « في ١٣/٠٦/٢٧ (٥) أن هذا الخوف يولد ضغطا على أوساط الحاخامات من أجل إلغاء فتاوي يهودية رسمية تحرم الشعائر الدينية اليهودية في الحرم القدسي تحاشيا لاستفزاز مشاعر الآخرين وسفك الدماء.

ويشير بار إلى سبب آخر، داخلي، يتعلق بتزايد الانشغال الفكري بـ «الهيكل الثالث»، بعدما كان موضوعا خارج الذهنية العامة لدى الإسرائيليين حتى السنوات الأخيرة، ويتابع: تآكل مفهوم «حائط البراق» وتعاظم الاهتمام بإنشاء الهيكل ضمن تيار واسع، ما يهدد مساجد الحرم والأمن في المنطقة برمتها، فهناك مخاوف من استهداف قبة الصخرة والأقصى بمواد متفجرة أو بصاروخ.

وقال بار إنه بعدما كان عدد «المجانين» المهتمين ببناء الهيكل يعد على أصابع اليدين صاروا ظاهرة ، وتابع «صار الحلم المجنون خرائط هندسية ولائحة زمنية، وتعاظم الاهتمام بإنشاء الهيكل واعتباره مسؤولية اليهود بعدما كان يعتبر ذلك منوطا برغبة الله».

جبل بركاني

كما تتلقى هذه الجماعات خاصة «أمناء الهيكل» بقيادة المستوطن غرشون سلومون دعما ماليا من جهات مسيحية متزمتة في الولايات المتحدة ترى بحرب «يأجوج ومأجوج» وإقامة الهيكل مرحلة دينية ضرورية لعودة المسيح المنتظر.

ويشير بار أنه حتى العام ٢٠٠٠ لم يتجاوز عدد أنصار الهيكل الثالث الداعين لهدم الأقصى العشرات أما اليوم فصاروا مئات يناصرهم عشرات آلاف المتدينين والعلمانيين، ومن حولهم تطورت البيئة الأيديولوجية الشعبية الداعمة لفكرة هدم المسجدين في الحرم القدسي، ويتابع «الأقلية غريبة الأطوار هذه تحولت إلى تيار شرعي في المعسكر الصهيوني الديني- القومي وتحظى بتشجيع الدولة التي تمول نشاطاتها الرامية لتأهيل كهنة الهيكل وتجديد العبادة فيه».

ويحذر الباحث بار في محاضرته(٦) من استمرار هذه السياسات، وقال إن منطقة الحرم تنطوي على جبل بركاني تشكل محتوياته الملتهبة خطرا وجوديا استراتيجيا على إسرائيل، داعيا لإشراك جهات دولية بتحمل مسؤوليته وبذل مساع حقيقية لحماية المساجد ووقف تمويل أنصار الهيكل ومطالبة الحاخامات في المستوطنات باستنكار الدعوات لهدم الأقصى وقبة الصخرة داخل محافل يهودية مختلفة.

برميل بارود

وتؤكد دراسة إسرائيلية أن الجماعات اليهودية الفاعلة من أجل هدم الأقصى وقبة الصخرة وبناء الهيكل الثالث باتت اليوم (٢٠١٣) كثيرة وخطيرة، محذرة من انفجار «برميل بارود» ستطال تبعاته المنطقة والعالم. ولا تخفي بعض هذه المنظمات هدفها وتقول علانية إنها تسعى لهدم الأقصى وقبة الصخرة كما يظهر في موقع «الجبل لنا» («هار هبايت لانو») على الشبكة.

الدراسة المستفيضة(٧) بعنوان «العلاقة الخطيرة- ديناميكية تعاظم حركات الهيكل في إسرائيل ودلالاتها» صادرة عن جمعية «عير عميم»، بالتعاون مع جمعية «كيشف»(٢٠١٣) المختصة

وبحسب فتاوى يهودية معينة، تحظر زيارة اليهود للحرم القدسي، ليس لأنه ملك للمسلمين بل لأنهم عاجزون اليوم عن تطهير أنفسهم. وتعتبر هذه الفتاوى غير الجديدة أن اليهود اليوم أنجاس نتيجة احتكاكهم بالموتى، أما عملية تطهرهم فهي غير ممكنة في أيامنا لأنها تحتاج لطقس خاص تستخدم فيه رماد بقرة حمراء غير موجودة بعد، رغم محاولات متكررة للعثور على مثلها، كما أكد عدد كبير من الحاخامات في فتوى مشتركة بعد احتلال القدس عام ٦٧.

ومع ذلك تشهد السنوات الأخيرة عملية تغيير في تعريف الحظر الديني المذكور؛ إذ يتيح عدد متزايد من الحاخامات زيارة بعض الأماكن المحددة في الحرم الشريف والواقعة خارج موضع الهيكل الثالث المزعوم.

بالرصد الإعلامي.

وتؤكد الدراسة الموسعة أن نحو ١٥ ألف يهودي يزورون الحرم القدسي كل عام، وتوضح أن أوساطا دينية متزايدة تعتقد بضرورة بناء الهيكل الثالث المزعوم.

وفعلا بادرت في السنوات الأخيرة جهات إسرائيلية خاصة كالمجمعات التجارية لبناء مجسمات ضخمة للقدس استبدلت قبة الصخرة بالهيكل، كما هو الحال في مجمعات «رامي ليفي « في البلاد على سبيل المثال.

وتعتبر الدراسة أن العام ٢٠٠٠ كان **نقطة تحوّل** لهذه الجماعات المختلفة، التي يجمعها دمج الأساس الديني والقومي والغيبي، عقب نشوب الانتفاضة الثانية، وبعدما صارت تحظى بدعم سلطات الدولة، وتشدّد على خطورة هذه المسيرة التي توظّف الدين لأهداف قومية في مكان يعتبر بؤرة التوترات السياسية والدينية على مستوى عال.

تغذية متبادلة

وتزعم الدراسة في المقابل أن «المتطرفين» على الجانبين اليهودي والإسلامي يغذيّ بعضهما البعض باقتباس كلّ منهما لتصريحات الآخر، وتقول إن الجماعات اليهودية تصّب الماء على طاحونة الحركات الإسلامية التي تشدد على أن «الأقصى في خطر». ولذا برأيها فإن الدعم الحكومي الإسرائيلي لجماعات الهيكل من شأنه منح الشرعية للادعاء بأن إسرائيل تنوي المساس بقدس أقداس الإسلام، وبالتالي تعزيز المركب الديني للصراع القومي في الأصل.

ويستدل من مراجعة دفاتر ومواقع هذه الجماعات اليهودية أنها تعمل عادة في إطار القانون، فهي مسجلة كافتها لدى مسجل الجمعيات، لكن قسما غير قليل منها يتخطاه ويتجاوز ما تسمح به الديمقراطية وحرية التعبير، ويقوم بالتحريض السافر المفضوح ضد المقدسات الإسلامية وبأفعال تعرض السلم للخطر.

وعلى العكس، فرغم أن مسؤولية إسرائيل كدولة تحتم عليها منع تغيير أنظمة العبادة في الحرم القدسي المحتل، ومنع التحريض والمس بالمقدسات الإسلامية، فهي تغذي فعاليات الهيكل الثالث باضطراد، مع العلم أن ذلك بمثابة «برميل البارود» من المرجح أن تطال تبعات انفجاره اليهود هنا وفي العالم ربما.

ويقضي القانون الإسرائيلي والدولي بحماية المقدسات ومكافحة مقترحات المساس بحرية العبادة للجميع. لكن الموجود مغاير؛ إذ تكشف مراجعة جداول الإنفاق في لوائح مالية لعدة وزارات عن وجود دعم مؤسساتي منهجي واسع ماديا، سياسيا ومعنويا لجماعات الهيكل، رغم خطورة ذلك، حتى لو كان بدوافع الحصول على مكاسب انتخابية.

وتبرز وزارة التعليم الإسرائيلية في توفير الدعم هذه الجماعات بدعمها ماليا وبنشر مضامينها وأفكارها في مناهج التدريس وبرعايتها رغم تحريضها الواضح أحيانا على المسلمين ومقدساتهم.

وتحّول وزارتا المعارف والثقافة مئات آلاف الشواكل في السنة لجمعية «معهد الهيكل» (مخون همكداش) التي يؤكد رئيسها الحاخام يسرائيل أرئيل أن الموت هو حكم كل «الأغراب» ممن يقتربون من جبل الهيكل. وتعترف وزارة المعارف في موقعها على الشبكة بتحويل ٢٨٢ ألف شيكل لهذه الجمعة في ٢٠١٢، أما وزارة الثقافة فمنحتها ١٣٤ ألف شيكل كما يستدل من معطيات موقع الوزارة: (http://cms.education.gov.il/educationc) وتعمل

هذه الجمعية كما يستدل من تصوراتها[٨] من أجل دفع موضوع الهيكل الثالث لواجهة الوعي والتفكير لدى اليهود، واستعجال بنائه على أنقاض الأقصى وقبة الصخرة، ولذا فهو أعد كل لوازمه وأدوات طقوس العبادة فيه.

لا يقتصر الأمر على الدعم المالي فقط؛ إذ تعمل في المعهد فتيات مجندات ضمن خدمتهن القومية في الإرشاد، وينشط المعهد بحسب معطياته في ٣٤ مدرسة يهودية وعشرات رياض الأطفال الذين ينكشفون لمضامين «تربوية» خاصة بالهيكل الثالث في الحرم القدسي بعد «تطهيره» من المساجد ودون أية إشارة لطرف أو رأي آخر في المكان.

وتنوه الدراسة أن سياسة الحفاظ على «الوضع الراهن» في الحرم القدسي، حيث تحظر صلاة اليهود فيه قد صادقت عليها المحكمة العليا عام ١٩٨٠ لدوافع أمنية.

لكن شهادات مؤسسة الأقصى[٩] وغيرها تفيد بن شرطة الاحتلال صارت تسمح بصلوات صامتة، وتؤكد معطيات رسمية للشرطة نفسها أن عدد اليهود الداخلين كل عام للحرم القدسي الشريف يبلغ نحو ١٥ ألفا.

رؤية الشريعة اليهودية

وبحسب فتاوى يهودية معينة، تحظر زيارة اليهود للحرم القدسي، ليس لأنه ملك للمسلمين بل لأنهم عاجزون اليوم عن تطهير أنفسهم. وتعتبر هذه الفتاوى غير الجديدة أن اليهود اليوم أنجاس نتيجة احتكاكهم بالموتى، أما عملية تطهرهم فهي غير ممكنة في أيامنا لأنها تحتاج لطقس خاص تستخدم فيه رماد بقرة حمراء غير موجودة بعد، رغم محاولات متكررة للعثور على مثلها، كما أكد عدد كبير من الحاخامات في فتوى مشتركة بعد احتلال القدس عام ٦٧.[١٠]

ومع ذلك تشهد السنوات الأخيرة عملية تغيير في تعريف الحظر الديني المذكور؛ إذ يتيح عدد متزايد من الحاخامات زيارة بعض الأماكن المحددة في الحرم الشريف والواقعة خارج موضع الهيكل الثالث المزعوم.

وخير دليل على تغيير جمهور المتدينين الوطنيين نظرته للحرم القدسي ولجبل الهيكل يكمن في الموقع الجديد على الشبكة (موقع جبل الهيكل- «هار هكوديش») الذي شارك في تدشينه وإطلاقه وزير الإسكان المستوطن أوري أرئيل (حزب «البيت

مستوطنون في باحة الحرم القدسي.

اليهودي») في تموز٢٠١٣ . يتيح الموقع [١١] الذي أقيم بالتعاون مع جمعية «قلب الأمة» للزائرين القيام بجولة افتراضية في سبع نقاط داخل الحرم القدسي، والاستماع لشروحات دينية وتاريخية عنها. يظهر على خريطة الموقع تصميم الهيكل الثالث. تظهر صورة الأقصى والصخرة ولكن حينما تضع شارة عليهما يستبدلان بالهيكل الثالث.

ومن بين المرشدين بالصوت والصورة وزير الإسكان أوري أرئيل نفسه، ويهودا عتسيون الذي أدين بالانتماء لخلية إرهابية في الماضي، واللغوي آفشالوم كور وسواهم.

ويخاطب الموقع بكتاباته العاطفة اليهودية حشدا لتأييد فكرة الهيكل بالقول على سبيل المثال: «جبل الهيكل هو نقطة لقاء ساحرة تنتج التواصل بين دوائر الوحدة الآخذة بالاتساع بدءا من التواصل الشخصي للزوجين وللأسرة مرورا بالتواصل القومي في إطار «أسبط إسرائيل المتحالفة» وحتى التواصل الروحي لكل البشرية والخلق».

ولا يتردد وزير الإسكان في الشرح عن خطة بناء الهيكل الجديد وتوسيع مسطح «جبل الهيكل» غير آبه بأن ذلك على حساب الحرم القدسي وما عليه من مقدسات إسلامية عمرها قرون. في إطار شروحاته يقول الوزير الذي يدعي أنه ابن لعائلة كهنوتية، وهو يرفع يديه بحركة التمني :»هنا كان أجدادي الكهنة يجتمعون وأتمنى لنفسي وكل إخوتي أن نحظى بفرصة مباركة الهيكل الثالث».

ويذهب يهودا عتسيون لأكثر من ذلك في شروحاته، فيقول للزائرين إن هناك طاقما هندسيا يعمل على رسم معالم القدس الجديدة التي تشمل الهيكل الثالث، وفيها ستضاعف مساحة «جبل الهيكل» لجهة الشمال نحو متحف روكفلر وسيبلغ ارتفاع الهيكل الثالث ٨٠ مترا.

ويبدو مرشد آخر، هو الحاخام يوسف الباويم سكرتير الحركة من أجل بناء الهيكل، أكثر صراحة في شرحه، فيقول مؤشرا ببنانه نحو قبة الصخرة : «هنا كان الملك يصلي».

يجاهر وزير الإسكان، أوري أريئيل بكل ذلك في الإعلام؛ ففي الرابع من تموز الماضي قال إنه يجب بناء الهيكل في موقع المسجد الأقصى، وإن قيام دولة فلسطينية هي «قصة خيالية".[١٢]

وأضاف أريئيل خلال مؤتمر صحافي عقده في مستوطنة "شيلو" في الضفة الغربية، أن الإسرائيليين بنوا الكثير من الهياكل، إلا أنهم في حاجة لبناء ما سماه بـ "الهيكل الحقيقي في جبل الهيكل".

ويبدو أن التغيير في الرؤية الدينية عمره عقدان،غداة توقيع اتفاقية أوسلو عام ١٩٩٣ نتيجة الخوف من إنجاز تسوية مع العالم الإسلامي تشمل تنازلا عن "جبل الهيكل".

وفي رد على ذلك زاد أعضاء "الحركة من أجل بناء الهيكل" كمية ووتيرة زياراتهم للحرم ووجدوا من حاخامات المستوطنين حلفاء لهم الذين أفتوا بجواز الزيارة للمرة الأولى عام ١٩٩٦ . ولا شك أن دعاة وناشطي بناء الهيكل يستمدون التشجيع من مثل هذه التراخيص بالزيارة.

دعوات وفتاوى الحاخامات

واليوم يدعو حاخامات صهاينة كثر وبوضوح لزيارة الحرم، فيما يدعو بعضهم لبناء الهيكل الثالث مقابل تحفظات آخرين لدواع دينية وسياسية.

في المقابل يدعو بعض المتحفظين، لتغيير أنظمة العبادة في المكان بواسطة فعاليات تربوية، ثقافية وسياسية، من أجل تمكين اليهود من الصلاة ،وهذا ما يعتبره الفلسطينيون وبحق مقدمة لتقاسم الحرم القدسي تكرارا لسيناريو تقاسم الحرم الإبراهيمي في الخليل.

ومن بين الحاخامات الداعين بقوة لبناء الهيكل حاخام صفد شموئيل الياهو كما يتجلى في فتوى خطيرة صدرت عنه في ٢٣ أيار ٢٠١٢ : «الملكوت التي نحلم بها تعرف كيف تهزم أعداءها وتضربهم ولا تترك جرحى في الميدان يخططون لحرب قادمة. ولا مجد لها إلا الهيكل حتى لو نضطر لمحو المساجد في الجبل المقدس». [١٣]

اعتاد حاخام إسرائيل الأكبر الحالي دافيد باروخ لاو (نجل الحاخام الأكبر الأسبق يسرائيل لاو) قبل انتخابه لمنصبه الحالي وخلال إشغاله منصب حاخام مستوطنة موديعين على القول إن الهيكل الثالث سيبنى بفضل يهود طيبين من أبناء جيلنا.[١٤]

ومن أخطر هؤلاء أيضا ثلاثة حاخامات تابعون للصهيونية المتدينة يدعون لاستعجال بناء الهيكل الثالث وعدم الاكتفاء بصلوات أو انتظار نزوله من السماء كما تؤمن أوساط دينية أخرى(صحيفة مكور ريشون ١٢/٥/٢٤)، وهم رئيس المدرسة الدينية التابعة لمعهد الدراسات العليا للتوراة الحاخام شبتاي ربابورط الذي يرى أن بمقدور الأقلية إقناع الأغلبية ببناء الهيكل والانضمام لها بالتنفيذ. والحاخام يعقوب ميدان رئيس المدرسة الدينية «هار عتسيون» الذي يعتبر أن إعاقة بناء الهيكل مردها عدة أسباب وضعية تتعلق بالشرطة ومحكمة العدل العليا.[١٥] وهو

يتضح من أدبيات «الهيكل الثالث» أن هناك دوافع أو مركبات خلف تنامي هذه الفتاوى، أولها القومية؛ إذ يرى بعض أنصارها، ومنذ ولادة الصهيونية، في الهيكل قلب الدولة اليهودية ومركزا لوحدة اليهود. وهناك دافع ديني يرى أن بناء الهيكل يتيح إقامة أكبر قدر من الشعائر التوراتية. والمركب الثالث رومانسي ويعني أن بناء الهيكل يتيح لليهود التواصل مع الله بعلاقة حميمية وحقيقية أكثر، أما الدافع الرابع فهو غيبي (ميسيائي) حيث يرى قسم من هؤلاء الغيبيين أن بناء الهيكل يشكل خطوة حاسمة لاستحضار الخلاص.

يشدد على ضرورة عدم انتظار نزول الهيكل من السماء، ويعد أن يفعل جل ما لديه من أجل بنائه. ويساندهما حاخام مدينة رمات غان يعقوب أرئيل الذي يدعو الجمهور للمشاركة في بناء الهيكل.

وتعبيرا عن دعمهم للفكرة، زار ١٧ حاخاما صهيونيا الحرم الشريف بشكل جماعي في الشهر نفسه.

اقتحامات الحرم

ويصعد حاخامات إسرائيليون دعواتهم لتدنيس الحرم القدسي الشريف واستعجال «الخلاص» وبناء الهيكل المزعوم فورا.

ففي مؤتمر نظمته المنظمة اليمينية «حاخامات من أجل حقوق الهيكل» في القدس، وجه عدد من رجال الدين المتزمتين دعوة إلى اليهود لزيارة منطقة الحرم تزامنا مع تصدي الفلسطينيين لمحاولة تدنيس جديدة.

وشارك في المؤتمر رجال دين بارزون وأعضاء كنيست أمثال النائب أوري أورباخ، أوري أرئيل، تسيبي حطوفيلي وميخائيل بن آري، الحاخام يوفال شيرلو والبروفسور هليل فايس.

ودعا البروفسور فايس المعروف بنشاطه الاستيطاني الاستفزازي لبناء الهيكل الثالث المزعوم الآن، وقال إنه لا مكان للتردد والتلكؤ موضحا أن الأمر لا يستدعي هدم الأقصى وقبة الصخرة.[١٦]

وأكد رئيس التنظيم المبادر للمؤتمر يهودا جليك حلول الوقت لعدم الخضوع «للعنف العربي»، ودعا اليهود لعدم ترك منطقة الحرم القدسي، وتابع في كلمته «زوروا جبل الهيكل وعندها سيعتاد العرب على وجودنا هناك فالغلبة لمن يعاند ويصمم».[١٧]

لماذا الهيكل الثالث

ويتضح من أدبيات «الهيكل الثالث» أن هناك دوافع أو مركبات خلف تنامي هذه الفتاوى، أولها القومية؛ إذ يرى بعض أنصارها، ومنذ ولادة الصهيونية، في الهيكل قلب الدولة اليهودية ومركزا لوحدة اليهود. وهناك دافع ديني يرى أن بناء الهيكل يتيح إقامة أكبر قدر من الشعائر التوراتية. والمركب الثالث رومانسي ويعني أن بناء الهيكل يتيح لليهود التواصل مع الله بعلاقة حميمية وحقيقية أكثر، أما الدافع الرابع فهو غيبي (ميسيائي) حيث يرى قسم من هؤلاء الغيبيين أن بناء الهيكل يشكل خطوة حاسمة لاستحضار الخلاص.

وتشكل هذه العوامل مجتمعة خلفية لتصاعد نشاط عشرات منظمات الهيكل التي قامت خلال العقدين الأخيرين من أجل بناء الوعي في إسرائيل بأهمية وجود الهيكل المزعوم.

نظرية المراحل .. أولها تأليف القلوب

واستنادا لنصوص هذه الجماعات، فإنها تعمل حتى الآن من أجل ما تسميه «تأليف القلوب» تمهيدا «لتغيير أنظمة العبادة في الحرم على الطريق لبناء الهيكل».

ويتجلى نجاحها في تغيير الموقف الديني من زيارة الحرم ، فالفكرة التي تبنتها مجموعة صغيرة باتت موضوعا شرعيا في الحيز العام، بل خطط عملية بفضل عمل تربوي وسياسي استمر سنوات.

وتشارك حتى جماعة «حباد» الحريدية بهذه الفعاليات التعبوية، خاصة في فترة ما يعرف بذكرى خراب الهيكل.(تشعاه بـ آب).

وتعتمد هذه الجماعات بوضوح إستراتيجية المراحل، موظفة المرحلة الأولى لتربية اليهود وتأهيلهم بالتدريج بهدف حصد الدعم لفكرة بناء الهيكل، بدلا من عملية فورية تهدف لاستعجال الخلاص لم تنضج ولم تحظ بشرعية واسعة بعد.

ويقف خلف هذه الرؤية الحاخام **يهودا عتسيون** حيث يرى الحلّ في التغيير من أسفل إلى أعلى مرورا بالرأي العام .

وهو يرى بـ «تأليف قلوب» اليهود قبيل المرحلة العملية، وإزالة

مسجدي قبة الصخرة والأقصى.[١٨] ويبدو أن الخطة تمضي في تحقيق غاياتها. لم يعد الحديث عن «تغيير أنظمة السيطرة» في الحرم، بل إقامة الهيكل، ولم يعد الحديث محصورا بهوامش دينية متشددة بل صار جزءا من لغة التخاطب السياسي العام في إسرائيل، تماما كما هو الحال مع فكرة الترانسفير التي ولدت على خجل وأضحت محطّ تأييد واسع تحت مسميات مختلفة.

وبحق، يعتبر الباحث في اليهودية **موطي عنباري في كتابه بالعبرية**[١٩] أن تعاظم الانشغال بالهيكل في الفترة الأخيرة، وتغير موقف الأوساط الدينية–الوطنية منه يعني تحولا جديا خطيرا.

وينوه أن ذلك يأتي نتيجة اليأس من تأّخر الخلاص، ومن الرغبة باستعجالها، موضحا أن أي تطور في المفاوضات مع السلطة الفلسطينية (في فترة رئاسة إيهود أولمرت للحكومة) من شأنه الدفع لعملية «ثورية وأحادية» تأتي بالخلاص.

المستلزمات والأدوات

وتعنى بعض جمعيات الهيكل بتوفير كل مستلزمات وأدوات العبادة في الهيكل المزعوم (٩٣ أداة) ومنها أدوات عزف، ثياب الكاهن الأعظم، البخور ومذبح للقرابين المعد لبنائه بين الأقصى وقبة الصخرة، وغيرها.

وتعقد هذه المنظمات مؤتمرا سنويا تحت عنوان «مؤتمر الهيكل» المدعوم من قبل وزارة التعليم وبلدية القدس ومؤسسة الحاخامية المركزية. ويشمل محاضرات وعرض أدوات الهيكل وأغانيه وحفل عشاء فاخرا وبيع مجسمات للهيكل وزيارات للحرم القدسي الشريف.

لكن أداة العبادة الأهم التي أعدتها هذه الحركات هي شمعدان ضخم صنع من الذهب الخالص (٤٢ كيلوغرام) عام ١٩٩٩ وتم تثبيته في سطح منزل مشرف على الحرم، وذلك على نفقة رجل الأعمال فاديم ربينوفيتش رئيس الكونغرس اليهودي في أوكرانيا. ويهدف هذا الشمعدان وفق رؤية الجهة التي ابتكرته («معهد الهيكل») لتعزيز فكرة بناء الهيكل.

وفي مستوطنة «متسبيه يريحو» المجاورة لمدينة أريحا هناك مدرسة دينية[٢٠] تعكف كل يوم جمعة على تعليم رجال دين أحكام الهيكل وتقريب القرابين فيه وبلورة الطقوس التي يقتضيها كالبحث عن بقرة حمراء لاستحضار الرماد منها لتطهير سدنته.

ليس هذا فقط، ففي العام ٢٠٠٠ أنشأت جمعية «إلـ هار همور « «حراس الهيكل» المسؤول عن مستلزمات الهيكل المادية.

التقدم نحو "الهيكل": كسر متدرج للتابوهات.

تقوم «المدرسة لمعرفة الهيكل» تحت رعاية وزارة التعليم ودعمها بسلة فعاليات تربوية واسعة في رياض الأطفال والمدارس. ومن أبرز هذه الفعاليات عرض متنقل لمجسم الهيكل وأدواته الكاملة. وهكذا بالنسبة لحركة الشبيبة «أرئيل» التي فتحت لها ٧٥ فرعا في إسرائيل، ويبلغ عدد أتباعها عشرة آلاف طالب، وتسعى لبناء الهيكل بدعم وزارة التعليم التي حولت لها ثمانية ملايين شيكل في السنوات ٢٠٠٨-٢٠١١.

ليس هذا فحسب؛ إذ تحظى هذه المنظمات بدعم مباشر من قبل أعضاء كنيست ووزراء ونوابهم ممن يؤيدون مؤتمر الهيكل السنوي، وفيه تسمع علانية دعوات لنسف الأقصى وقبة الصخرة.

دعم مؤسساتي

وتحظى هذه الجماعات الفاعلة لبناء الهيكل المزعوم بدعم رسمي علني من قبل وزارات ودوائر حكومية كثيرة.

ويبدأ ذلك بالموافقة على تسجيلها كجمعيات رسمية، مرورا بالتغاضي عن انتهاكاتها وانتهاء بالدعم المالي لها وبالملايين من خلال وزارة التعليم.

كما تفتح المدارس أبوابها أمام أنصار الهيكل للمحاضرات، وتعتمد الوزارة مضامين تعليمية مؤيدة له، وتتيح زيارات طلابية للحرم القدسي.

وتقوم «المدرسة لمعرفة الهيكل»[٢١] تحت رعاية وزارة التعليم ودعمها بسلة فعاليات تربوية واسعة في رياض الأطفال والمدارس. ومن أبرز هذه الفعاليات عرض متنقل لمجسم الهيكل وأدواته الكاملة. وهكذا بالنسبة لحركة الشبيبة «أرئيل» التي فتحت لها ٧٥ فرعا في إسرائيل، ويبلغ عدد أتباعها عشرة آلاف طالب، وتسعى لبناء الهيكل بدعم وزارة التعليم التي حولت لها ثمانية ملايين شيكل في السنوات ٢٠٠٨–٢٠١١.

ليس هذا فحسب؛ إذ تحظى هذه المنظمات بدعم مباشر من قبل أعضاء كنيست ووزراء ونوابهم ممن يؤيدون مؤتمر الهيكل السنوي، وفيه تسمع علانية دعوات لنسف الأقصى وقبة الصخرة. ومن هؤلاء النواب في الكنيست الحالية والسابقة داني دنون، زئيف إلكين، عتنائيل شنلر، موشيه فايغلين ياريف لفين وميخائيل بن آري وآريه إلداد وغيرهم.

وتتغذى هذه الجماعات المتطرفة من تصريحات هؤلاء السياسيين، وهم كثر في الائتلاف الحاكم الحالي ويدعون لبناء الهيكل أو لتقاسم الحرم. ويؤمن عضو الكنيست من حزب الليكود– «إسرائيل بيتنا» موشيه فايغلين بما يقوله الحاخام شبتاي بن دوف، خاصة ما يتعلق بـ انتظار «بطل طلائعي» يسبق المعسكر، ويحقق رغبة مجمل بني إسرائيل، في تلميح لتفجير المساجد.[٢٢]

الشرطة والنيابة

وتكتفي السلطات الإسرائيلية بردع هذه الجماعات المتطرفة فقط في حالات وجود خطر حدوث فوضى أو بعد وقوع أعمال عنف من طرفها. لكنها لا تبادر عادة لمقاضاة أنصار الهيكل رغم دعواتهم للعنف و«تطهير المكان من أعداء إسرائيل وبناء الهيكل على خرائب المساجد دون أي خوف».

ويعتبر رئيس الشاباك الأسبق عامي أيلون[٢٣] ذلك مقدمة لانفجار، منوها في محاضرة أن تغيير «الوضع الراهن» القابل للانفجار يحتاج لتمهيد وصبر ضمن مسيرة سياسية واسعة تشمل المغرب، السعودية، مصر، الأردن والفلسطينيين.

وتوافق معه قائد شرطة القدس السابق ميكي ليفي الذي أكد أنه في ظل عدم توخي الحذر، وتحاشي العنجهية من الممكن أن تنشب حرب عالمية ثالثة من هذا المكان.[٢٤]

يشار أنه على المستوى القضائي لم يكن من المفهوم ضمنا المصادقة على إقامة جمعيات مؤيدة لبناء الهيكل في الحرم القدسي، إذ منع المستشار القضائي الأسبق لحكومة إسرائيل مئير شمغار[٢٥] محاولة في ١٩٧١ لتسجيل جمعية بعنوان «الجمعية من أجل بناء الهيكل في القدس». لكن الحالة تغيرت، ومنذ ١٩٨٠ بدأ مسجل الجمعيات يسجل عددا كبيرا من هذه الجمعيات.

وتتنبه بعض الأوساط الليبرالية والحقوقية إلى أن أغلبية فعاليات هذه الجماعات تقع ضمن «حرية التعبير» رغم

استفزازيتها، وتتابع «لكن الفضيحة الخطيرة تكمن في الدعم الرسمي وعلى حساب أموال الجمهور».

على سبيل المثال، يرى المحامي ميخائيل سفارد[٢٦] أن معظم فعاليات هذه الجماعات ورغم استفزازيتها، تقع ضمن ما تتيحه حرية التعبير. بالمقابل يتفق سفارد (في حديث للإذاعة العامة ١٢/٦/٢٢) مع أوساط سياسية يسارية كحزب «ميرتس» أن هناك مكانا أحيانا لملاحقتها قانونيا خاصة عندما تحّض على نسف المساجد.

وحمل أفيشاي برافيرمان وزير الأقليات السابق أيضا على المتطرفين اليهود ممن «يستفزون بأفعالهم وأقوالهم جموع المسلمين» وقال إنهم يعززون قوة «المتطرفين المسلمين»، ويمسون بإسرائيل بتهديدهم مكانتها في العالم، واعتبر أن الأقصى عود ثقاب يمكنه إشعال حريق هائل في المنطقة لن يطفأه ١٠٠٠ حاخام .

وأوضح برافيرمان [٢٧] أن حكومة إسرائيل تحافظ على الوضع الراهن في الحرم ولا تسمح بالعبادة اليهودية في الأقصى، وتابع «هناك عدد من الحاخامات حظروا بفتاوى صريحة القيام بالصلاة في الحرم وبدوافع دينية».

مجسم في المطار

واعترف المسؤول الأول عن عمليات التنقيب الأثرية في القدس الشرقية وبمحيط الحرم البروفسور روني رايخ من جامعة حيفا بدوافع سياسية واضحة تقف وراء التنقيب المكثف والمتواصل أسفل منطقة الحرم بخلاف المعايير العلمية.

وأشار[٢٨] أن المنظمة الاستيطانية «إلعاد»هي التي تمول الحفريات لأهداف سياسية، وليست جهة مستقلة.

وأوضح رايخ أنه يحفر في «مدينة داهود» منذ ١٥ عاما ولم يجد آثارا يهودية بل كنعانية تعود ل٨٠٠ سنة قبل قدوم الإسرائيليين، وتابع «هذه النتائج ينبغي أن ترضي العرب والمسلمين».

ويتطابق مع رؤيته الباحث في الآثريات والمختص في القدس د. يونتان مزراحي مشددا على الدوافع غير العلمية خلف التنقيبات الأثرية في القدس القديمة.[٢٩]

يشار أن مجسما تفصيليا ضخما للهيكل الثالث ثبت في إحدى صالات مطار بن غوريون الدولي الذي افتتح عام ٢٠٠٣.

ويبدو أن هذه الفكرة تجد رواجا واسعا في الشارع الإسرائيلي الذي يؤيد في أغلبيته تقسيم الأقصى على غرار تقسيم الحرم القدسي الإبراهيمي في الخليل.

استطلاعات

كشف استطلاع [٣٠] نشر في ٢٠١٣/٧/٥ أن غالبية الإسرائيليين تؤيد تقسيم الحرم القدسي الشريف بين اليهود والفلسطينيين على غرار الحرم الإبراهيمي في الخليل، وأن ثلث اليهود في البلاد يؤيدون إقامة "الهيكل الثالث" في ساحة الحرم المقدسي، مقابل معارضة ٤٥٪، وامتناع ٢٥٪ عن التعبير عن رأيهم. وبين استطلاع أجراه معهد "مأغار موحوت"[٣١] لحساب «الهيئة المشتركة لمنظمات الهيكل» أن ٤٣٪ من المتدينين الأصوليين(الحريديم) يؤيدون إقامة الهيكل، مقابل ٢٠٪ من "الحريديم الوطنيين"، و ٣١٪ من "العلمانيين". يشار أن هناك ٢٧ جمعية صهيونية تعمل لإعادة بناء الهيكل الثالث المزعوم، وبعضها يدعو لبنائه جهارا نهارا على أنقاض الأقصى وقبة الصخرة.

بالطبع رحبت "منظمات الهيكل" بنتائج الاستطلاع واعتبرتها معززة لفكرة أن الحرم المقدسي هو «المكان الأقدس والأهم في نظر الإسرائيليين". يذكر أنه في استطلاع مماثل[٣٢] نشر في ١٣/٠٧/١٢ أيّد ٢٢٪ من الإسرائيليين إقامة الهيكل الثالث في ساحة الحرم. ويتضح من الاستطلاع أن هناك غالبية بين الإسرائيليين تؤيد إجراء تغيير في الوضع الراهن للحرم المقدسي، حيث يناصر ٥٩٪ منهم فرض تسوية في الحرم مثلما حصل في الحرم الإبراهيمي، وتقسيمه بين اليهود والمسلمين".

وأجاب ٢٣٪ بالنفي، مقابل ١٨٪ أجابوا بإجابات أخرى بينها أنهم لا يعرفون. وقال ٦٨٪ من "المتدينين" إنهم يؤيدون زيارة الحرم المقدسي في إطار جولة في القدس المحتلة، وأجاب بالإيجاب ٦٠٪ من "العلمانيين"، مقابل ٢٠٪ من "الحريديم". ورغم التغيير في النظرة إلى الحرم المقدسي، فإن ٦٦ ٪ من اليهود ما زالوا يرون في ما يسمى بـ"حائط المبكى"(حائط البراق) المكان الأكثر قدسية في البلاد في حين اعتبر ٢٩٪ أن الحرم المقدسي هو الأكثر قدسية.

توصيات

وتصي جمعية «عير عميم»[٣٣] في هذا السياق أنه في السنوات الأخيرة يلاحظ تغيير عميق في رؤية جمهور "المتدينين – الوطنيين"("الحريديم"و"الحريديم الوطنيين") تجاه الحرم المقدسي بعدما كانوا يحرمون بدوافع دينية القيام بشعائر دينية فيه.

وتوصي بأن تتخذ إسرائيل عدة إجراءات، أولها تطبيق القانون لمكافحة التحريض والعنصرية وملاحقة المربين والحاخامات وقادة حركات الهيكل الداعين لهدم المساجد في الحرم.

كما توصي بزيادة المراقبة على مضامين التعليم التي تنقل بواسطة هذه الجماعات وضمان تعددية الأفكار والروايات أمام الطلاب.

وتبنت موقف بعض الجمعيات الحقوقية الإسرائيلية التي تدعو إسرائيل لإشراك جهات دولية بهذه المسؤولية ولزيادة التعاون مع الأردن والسلطة الفلسطينية ومع مؤسسة الوقف.

وتشدد على حيوية توقف القيادات السياسية والحاخامات عن أي دعم لمحاولات تغيير "الوضع الراهن" في الحرم، وتضيف "يحظر على قادة الدولة الصمت لأسباب مختلفة على أفكار ومحاولات لتغيير الوضع الراهن في الحرم أو لهدم الأقصى وقبة الصخرة، لأن ذلك سيقود لكارثة على إسرائيل.

تعقيب

في ردها على الوقائع الخطيرة تهربت وزارتا التعليم والداخلية من مسؤوليتهما، أما ديوان رئيس الحكومة، وزارات الدفاع والشرطة والقضاء والأديان وبلدية القدس فرفضت التعقيب.

الهوامش

١. ساند، ٢٠١٣، متى توقفت عن أن أكون يهوديا، إصدار كنرت–زمورا.

٢. شلومو ساند، اختراع الشعب اليهودي، ٢٠١١، ترجمة سعيد عياش، إصدار المركز الفلسطيني للدراسات الاسرائيلية–مدار.

٣. شلومو ساند ، اختراع أرض إسرائيل ، ٢٠١٢، إصدار زمرت بيتان.

٤. ابراهام فولك،١٩٩٤، الخزر: تاريخ مملكة يهودية في أوروبا، تل ابيب.

5. http://hagada.org.il/author/idkun/page/2/

٦.المصدر السابق.

7. http://www.ir-amim.org.il/he

8. http://www.temple.org.il/

9. http://www.iaqsa.com/

10. http://www.ranaz.co.il/articles/article4773_19670924.asp

11. http://www.h-mikdash.com/temple-south.html

12. http://www.nrg.co.il/online/1/ART2196/487/.html

13. http://www.yeshiva.org.il/midrash/shiur.asp?id=17577

14. http://news.walla.co.il/?w=/29522661117/

15. http://www.kipa.co.il/now/48502.html

16. http://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-3795256,00.html

١٧. المصدر المذكور.

18. http://www.elhamikdash.com/site/detail/detail/detailDetail.asp?detail_id=622913

١٩– موطي عنباري، ٢٠٠٨، التطرف الديني اليهودي وجبل الهيكل، ماجنس.

20. http://www.igud.org/index.aspx?id=4175

21. http://www.temple.org.il/about.asp?id=31227

22. http://7minim.wordpress.com/201315/02//feiglins_temple/

23. http://www.bluewhitefuture.org.il/

24. http://the--temple.blogspot.co.il/201301//blog-post_14.html

25. http://www.hahem.co.il/friendsofgeorge/?tag=%D790%%D79%D-%D7%AA%D7%A8%D7%A6%D795%

26. http://www.ir-amim.org.il/sites/default/files/kesher%20mesucan%20HEB_WEB%2029%282%.pdf

٢٧. صحيفة "حديث الناس"١٣/٠٦/٢٨

28. http://www.alt-arch.org/articles_heb.php

29. http://www.haokets.org/201211/03//%d7

30. http://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-4404062,00.html

31. http://www.nrg.co.il/online/1/ART2697/423/.html

32. http://www.haaretz.co.il/news/education/1.2069796

33. http://www.ir-